التقليد المقدس

صموئيل طلعت
www.drsamtc.blogspot.com

+ مقدمة

يقول اللاهوتى الأرثوذكسى جورج فلورفسكى [ما الكنيسة متحفاً للودائع الميتة أو جمعية للبحث العلمى ، لأن ودائعها حية على حد تعبير القديس إيريناؤس . فإيمانها ليس من بقايا الماضى بل هو "سيف الروح"] [1] لذلك فتقليد كنيستنا هو تقليد حى.

+ التقليد والكتاب المقدس

فى الحقيقة الكتاب المقدس والتقليد ليسا شيئين بل شيئاً واحداً ، فالكتاب المقدس هو الجزء المدون من التقليد ، فالتعليم الشفاهى بالخلاص كان هو الانجيل قبل أن يُكتب الانجيل ، حيث تذكر لنا الأناجيل المقدسة أن ربنا يسوع المسيح جاء إلى الجليل يكرز ببشارة الملكوت ويقول [قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ](مر ١ : ١٥) أى إنجيل هذا ؟! أليس هو تعليم كرازته الشفهية ؟؟ فقد عاشت الكنيسة أكثر من عشرين عاماً بعد حلول الروح القدس يوم البنطقستى بلا إنجيل مكتوب ولكنها عاشت الانجيل ومارسته [2] ، أى أن هناك مسيحيون عاشوا وماتوا ولم يقرءوا الإنجيل ، فاستفانوس عاش واستشهد ولم يكن قرأ الإنجيل ، ولكن هؤلاء المسيحيون سمعوا الإنجيل الشفاهى وعاشوه.

يقول الأب متى المسكين [فالكنيسة الأرثوذكسية "كنيسة الإنجيل" منذ البدء بالمفهوم المتسع للإنجيل أى البشارة والتعليم الشفاهى المُسَلَّم من الرسل جنباً إلى جنب مع الإنجيل المكتوب] [3] ويقول D. Guthrie أن التقليد الشفوى كان له أهميته الخاصة فى الكنيسة وبخاصة فى الشرق ، وقد جاء الإنجيل المكتوب لا ليحتل مكانة التقليد إنما ليكمله ويؤكده. فالإنجيل يحفظ التقليد بلا انحراف ، والتقليد يفرز الأناجيل القانونية ويحفظها بلا تحريف ويكشف مفاهيمها .فلا تعرف الكنيسة الثنائية إنما تعرف إنجيلاً واحداً سواء سُلِّم إليها بالتقليد الشفوى أو بالكتابة ، تعيشه فى أفكارها وعبادتها وسلوكها كحياة معاشة. [4]

---

[1] جورج فلورفسكى: الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد ، ترجمة: الأب ميشال نجم ، ص ١٢
[2] القمص تادرس يعقوب ملطى: الإنجيل بحسب متى ، ص ١٢
[3] الأب متى المسكين: التقليد وأهميته فى الإيمان المسيحى ، ص ٣
[4] القمص تادرس يعقوب ملطى: مرجع سابق ، ص ١٢

وهناك تكمن خطورة رفض التقليد ، فالكنيسة سلمت لنا الكتاب المقدس وأيضاً طريقة العبادة الرسولية (الطقس) [٥] فإذا كنا لا نثق فى أمانتها فى الحفاظ على طريقة العبادة الرسولية ، فيجب علينا أيضاً أن نشك فى أمانتها فى الحفاظ على الكتاب المقدس. يقول القديس أغسطينوس [أما من جهتى فأنا لا أؤمن بالإنجيل إلا كما يوجهه سلطان الكنيسة] [٦]

+ التقليد عند الرسل

كثيرون يقولون أن التقليد ليس له مرجع رسولى (أى لم ينادى به الرسل) فهل هذا صحيح ؟؟

١- التقليد فى فكر بولس الرسول

تعريف التقليد

لقد عرف بولس الرسول التقليد حينما قال [وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا] (٢ تى ٢ : ٢) وهذا هو أدق تعريف للتقليد ألا وهو التسليم فهناك أشياء لم يدونها الرسل فى العهد الجديد ولكن سلموها لأخرين وهؤلاء سلموها لما بعدهم حتى وصلت إلينا .

أنواع التقليد

ذكر بولس الرسول نوعى التقليد . المكتوب والشفهى . حين قال [فَاثْبُتُوا إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَلاَمِ(الشفهى) أَمْ بِرِسَالَتِنَا (المكتوب)] (٢ تس ٢ : ١٥) وكلمة التعاليم الواردة فى أصلها اليونانى تعنى تقاليد ولذلك تُرجمت بالانجليزية traditions وليس teachings راجع KJV و NET BIBLE .

ممارسة التقليد

لم يكتفى بولس الرسول بتعريف التقاليد وذكر أنواعها بل أعتمد عليها حين قال [وَكَمَا قَاوَمَ يَنِّيسُ وَيَمْبِرِيسُ مُوسَى، كَذلِكَ هؤُلاَءِ أَيْضًا يُقَاوِمُونَ الْحَقَّ. أُنَاسٌ فَاسِدَةٌ أَذْهَانُهُمْ، وَمِنْ جِهَةِ الإِيمَانِ مَرْفُوضُونَ] (٢ تى ٣ : ٨)

---

[٥] إن للرسل طريقة عبادة (طقس) سلموها للكنيسة حيث يخبرنا بولس الرسول فى رسالته للعبرانيين بأنه سيسلمهم الأنظمة الخاصة بالعماد ووضع اليد ولم يكتب شيئاً عن تفاصيلها لأنه سيسلمهم إياها شفاهاً حيث يقول [تَعْلِيمَ الْمَعْمُودِيَّاتِ، وَوَضْعَ الأَيَادِي، قِيَامَةَ الأَمْوَاتِ، وَالدَّيْنُونَةَ الأَبَدِيَّةَ،وَهذَا سَنَفْعَلُهُ إِنْ أَذِنَ اللهُ.] (عب ٦ : ٢-٣) وحينما اضطر الرسول لذكر شئ عن الأسرار ولا يستطيع أن يخوض فى التفاصيل قال [وَأَمَّا الأُمُورُ الْبَاقِيَةُ فَعِنْدَمَا أَجِيءُ أُرَتِّبُهَا.] (١كو ١١ :٣٤) وتجدون فى كتاب الديداخى (تعليم الرسل) الذى يعود لعام ١٠٠ م (الفصول ٧ ـ ١٠) تتحدث عن المعمودية والصوم والصلاة و وليمة الأغابى وكسر الخبز (الافخارستيا).

[٦] القس شنودة ماهر: بحث فى التقليد المقدس ، ص ٣٧

فنحن لا نجد اسمى ينيس ويمبريس مدونين فى العهد القديم ، ولكننا نرى بولس يشير إليهما كمقاومين لموسى ، فبولس هنا ينقل تلك الأسماء عن التقليد الشفاهى اليهودى حيث أنهما اسما المقدمين فى مجموعة السحرة المصريين فى قصة الخروج .

مدح محافظى التقليد

مدح بولس الرسول من يحفظ التقليد حين قال [فَأَمْدَحُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ عَلَى أَنَّكُمْ تَذْكُرُونَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْفَظُونَ التَّعَالِيمَ كَمَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ] (١ كو ١١ : ٢) وكلمة التعاليم الواردة فى أصلها اليونانى تعنى تقاليد ولذلك تُرجمت بالانجليزية traditions وليس teachings راجع NET BIBLE.

مصدر التقليد

يقول القديس بولس الرسول [لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا] (١ كو ١١ : ٢٣) وهذا ما تشير إليه الكنيسة حين تتكلم عن التسليم الرسولى [الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ] (يه ٣) إذاً المصدر هو المسيح وقد سلمه بنفسه للرسل ، والرسل سلموا تلك المعرفة إلى الكنيسة كلها .
وبالتالى يتضح فكر القديس بولس الرسول تجاه التقليد.

٢-التقليد فى فكر يوحنا الرسول

يقول القديس يوحنا [إِذْ كَانَ لِي كَثِيرٌ لأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ، لَمْ أُرِدْ أَنْ يَكُونَ بِوَرَق وَحِبْرٍ، لأَنِّي أَرْجُو أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ وَأَتَكَلَّمَ فَمًا لِفَمٍ، لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُنَا كَامِلاً.] (٢يو ١٢) ويكرر نفس الكلام فى رسالته الثالثة مفضلاً التسليم الشفاهى عن الاسترسال فى الكتابة [وَكَانَ لِي كَثِيرٌ لأَكْتُبَهُ، لكِنَّنِي لَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكَ بِحِبْرٍ وَقَلَمٍ. وَلكِنَّنِي أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ عَنْ قَرِيبٍ فَنَتَكَلَّمَ فَمًا لِفَمٍ.] (٣يو ١٣ ، ١٤)

+ التقليد المرفوض

يدعى البعض أن المسيح هاجم التقليد فى قوله [فَقَدْ أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَب تَقْلِيدِكُمْ!](متى ١٥ : ٦) ، ما الذى يجعل تقليد الفريسيين خاطئ وتقليد الكنيسة سليم ؟
الإجابة ببساطة هى **المصدر** ، فالمسيح أوضح مصدر تقليد الفريسيين حين أسماها [وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ] **(مر ٧ : ٧-٨)** بينما بولس الرسول يوضح مصدر التقليد الكنسى أنه من الرب .كما وضحنا سابقاً . .

+ مصادر التقليد الخمسة [٧]

١ – الكتاب المقدس

الكتاب المقدس هو جزء من التقليد كما وضحنا سابقاً ولكن له المكانة الأولى فى التقليد .

٢ – الليتورجيا

الليتورجيا هى "العمل الشعبى العام" ، ليتورجيا الكنيسة هى عمل الكنيسة حين تجتمع لتكون شعب الله ، فجميع الصلوات الكنسية العامة تدخل فى الليتورجيا (مثل صلوات القداس ، المعمودية ، ...) لا نقصد بالليتورجيا الطقس فقط (أى الحركات البشرية) بل ما وراء الطقس من معانى.

٣ – المجامع

المجمع هو عبارة عن اجتماع هؤلاء الذين أُعطوا السلطان فى الكنيسة ليقرروا ما هو أمين لتقليد الكنيسة وما هو ليس كذلك ، أول مجمع كنسى انعقد فى أورشليم وكان المشاركين فيه هم تلاميذ المسيح ورسله [وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ هكَذَا: "اَلرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ وَالإِخْوَةُ يُهْدُونَ سَلاَمًا إِلَى الإِخْوَةِ الَّذِينَ مِنَ الأُمَمِ فِي أَنْطَاكِيَةَ وَسُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ: إِذْ قَدْ سَمِعْنَا أَنَّ أُنَاسًا خَارِجِينَ مِنْ عِنْدِنَا أَزْعَجُوكُمْ بِأَقْوَال، مُقَلِّبِينَ أَنْفُسَكُمْ، وَقَائِلِينَ أَنْ تَخْتَتِنُوا وَتَحْفَظُوا النَّامُوسَ، الَّذِينَ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْهُمْ. رَأَيْنَا **وَقَدْ صِرْنَا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** أَنْ نَخْتَارَ رَجُلَيْنِ وَنُرْسِلَهُمَا إِلَيْكُمْ مَعَ حَبِيبَيْنَا بَرْنَابَا وَبُولُسَ، رَجُلَيْنِ قَدْ بَذَلاَ نَفْسَيْهِمَا لأَجْلِ اسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ . فَقَدْ أَرْسَلْنَا يَهُوذَا وَسِيلاَ، وَهُمَا يُخْبِرَانِكُمْ بِنَفْسِ الأُمُورِ **شِفَاهًا. لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ**، أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ، غَيْرَ هذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ: أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ، وَعَنِ الدَّمِ، وَالْمَخْنُوقِ، وَالزِّنَا، الَّتِي إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْهَا فَنِعِمَّا تَفْعَلُونَ .كُونُوا مُعَافَيْنَ" فَهؤُلاَءِ لَمَّا أُطْلِقُوا جَاءُوا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ، وَجَمَعُوا الْجُمْهُورَ وَدَفَعُوا الرِّسَالَةَ. **فَلَمَّا قَرَأُوهَا فَرِحُوا لِسَبَبِ التَّعْزِيَةِ.**] (أع ١٥ : ٢٣-٣١)

٤ – القديسين

هذا المصدر مصدر مزدوج فهو يضم حياة القديسين (حيث كانت حياتهم شهادة أمينة للإنجيل) ، وتعاليم مجموعة منهم نسميهم "الآباء" (حيث كانت حياتهم وتعاليمهم شهادة أمينة للإنجيل).

٥ – الفن الكنسى

يمكن تقسيمه إلى ثلاث:

(أ) **الأيقونات:** استعانت الكنيسة بالفن التصويري لتفسّر تعليمها الأرثوذكسي الذي تداخل مع حياة المؤمنين بحيوية وعيشٍ للتقليد، وخاصةً عندما صعب على الكنيسة إبراز عقائدها وذلك من جرّاء الحذر الذي فرضته الاضطهادات عليها .فكان هدف الفن الكنسي إبراز الشخصيات التي عاشت الإيمان، ليتمثّل بهم المؤمنون في جهادهم ضد قوى الشر ولحماية المؤمنين وقيادتهم وتشجيعهم للوصول بهم إلى

[٧] راجع كتاب/ هل الكتاب المقدس وحده يكفى ؟!! ـ كلمات حول التقليد الكنسى ، ترجمة وإعداد: أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية ، ص ١٦ : ٢٥

الشهادة كما فعل المخلص ورسله وشهداؤه. فكان الفن يقدّم هذه الخدمة من خلال رموزه حاملاً هدفاً روحياً ومتضمناً لفحوى عقائدية معبّر عنها بالشكل والألوان .فهِم المؤمنون في العصور الأولى الأفكار العظيمة التي للإيمان الجديد من خلال رموز بسيطة مثل "السمكة" و "الحمل" و "الراعي" و "الطاووس"[٨]

(ب) **الموسيقى الكنسية**: وهى الطريقة التى تُقال بها ألحان الكنيسة والمردات المستخدمة فى الليتورجيا الكنسية.

(ج) **البناء الكنسى**: الطريقة التى تُبنى بها الكنيسة بحسب التقليد شهادة واضحة لإيمان الكنيسة كما اختبرته الكنيسة عبر العصور. [٩]

+ معايير التقليد [١٠]

توجد ثلاثة معايير لنعرف هل ذلك الأمر أياً كان من التقليد وحياة الكنيسة أم لا ؟

المعيار الأول: القدم Antiquity : وذلك يعنى أن ذلك الأمر تؤمن به الكنيسة منذ القدم.

المعيار الثانى: الشمول Universality : أى نجد ذلك الأمر مُعترف به ويُعلم به فى كل مكان.

المعيار الثالث: الإجماع Unanimity : أى نجد ذلك الأمر مُعترف به ويُعلم به فى كل مكان ومن قبل معظم المؤمنيين.

أى أن التقليد الصحيح نجده مُعترف به : فى كل زمان ، وفى كل مكان ، ومن الكل.

كل ما نؤمن به ونُعلم به . أى التقليد الكنسى بكامله . محكوم بهذه المعايير الثلاثة.

---

[٨] راجع مقال/ الأرشمندريت بندلايمون فرح: محتوى الأيقونوغرافيا الأرثوذكسية ، وتجدونه على هذا الرابط :
http://www.orthodoxlegacy.org/IconographyFarah.htm
وأيضاً راجع مقال "الأيقونة الأرثوذكسية" لنفس الكاتب ، وتجدونه على هذا الرابط :
http://www.orthodoxlegacy.org/OrthodoxIconFarah.htm
وأيضاً مقال "الرموز فى الأيقونات" لنفس الكاتب ، وتجدونه على هذا الرابط :
http://www.orthodoxlegacy.org/Year2/SignsInIconsFarah.htm
وكل المقالات منشورة فى مجلة التراث الأرثوذكسى http://orthodoxlegacy.org/

[٩] راجع كتاب/ القمص تادرس يعقوب ملطى: الكنيسة بيت الله.

[١٠] راجع كتاب/ هل الكتاب المقدس وحده يكفى ؟!! ـ كلمات حول التقليد الكنسى ، ترجمة وإعداد: أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية ، ص ٣٨

تلك الصورة توضح مصادر طقوس الكنيسة [11]

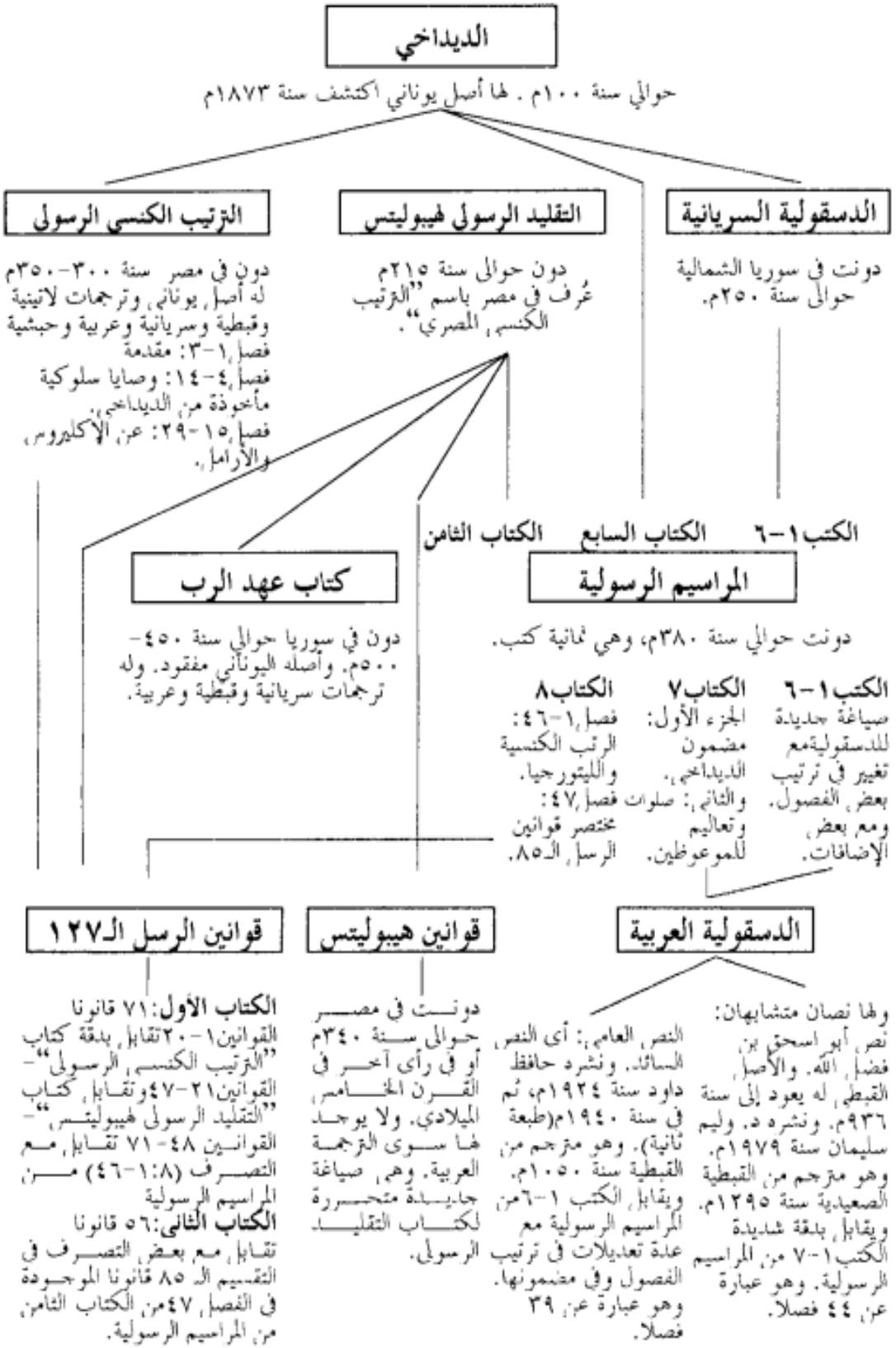

[11] الصورة من كتاب / الراهب القس اثناسيوس المقارى: الديداخى أى تعليم الرسل ، ص ١٨